الجوانب الإيجابية والسلبية للطرق الصوفية

الباحثة/ آية بخيت عبد العزيز مسلم
لدرجة الماجستير بقسم الفلسفة كلية الاداب ـ جامعة المنوفية

المقدمة :

تمثل الطرق الصوفية بشكل عام نزعة إنسانية ظهرت في كل الثقافات بصورة متفاوتة ، وتعتمد بشكل عام على مجموعة ممارسات تقوم على إشباع الجانب الروحي ، والزهد في الدنيا ، والركون إلي الله تعالي والبعد عن الشهوات المادية والتحلي بالفضائل وتطهير النفس وسمو الروح ، وتمثل الطرق الصوفية أحد أهم التيارات الإسلامية المعتدلة التي تتفاعل مع قضايا المجتمع في مجالات عدة، فالتصوف ليس مجرد اتجاه فكري ولكنه يتجسد في تكوين اجتماعي من خلال ما يسمي بالطرق الصوفية ، حيث أن لكل طريقة بناء هيكلي وتنظيمي ودور في تشكيل وعي وسلوك الأفراد المنتمين إليها ، وأضحت الطرق الصوفية لها أثر في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمعات الاسلامية ، ومن هنا أصبحت الطرق الصوفية ظاهرة اجتماعية لا يمكن إهمالها ، والتصوف له من المكانة في نفوس المجتمع لمشاركتهم في الحياة اليومية وقيامهم بمهام التعليم والإرشاد وإصلاح ذات البين والإيواء والإطعام ، فقد كانت الزوايا نقطة تلاقي أفراد ومؤسسات اجتماعية وسياسية ودينية ، فتعد محور اهتمام السلاطين والرعية على حدٍ سواء، فتقدم الزوايا أدواراً تضامنية على حسب الظروف التي يمر بها المجتمع ، فتلك الزوايا برزت كأحد المؤسسات الفاعلة في المجال الاجتماعي والتي تشكلت عبر المسار التاريخي بما تقتضية ظروف المجتمع

الهدف من البحث :

_ يهدف البحث إلي توضيح ايجابيات الطرق الصوفية ومدي تأثيرها في المجتمع ، حيث تعتبر الطرق الصوفية أحد أهم التجمعات الدينية الإسلامية وأغلبها يتبني عقيدة أهل السنة والجماعة ، والاختلاف بينهما إنما هو في طريقة التربية والسلوك إلي الله تعالي .

_ رؤية البعض في أن التصوف لا يخلو من جهل وخرافة واستغلال للدين ومغالاة في الشعائر والطقوس كل هذا يحتم تقييم موضوعي للتصوف وطرقه وتوضيح أنه مظهر إسلامي حقيقي متجذر في تاريخنا .

منهج البحث:

المنهج التحليلي يقوم على الوصف والتحليل وتتوصل الدراسة إلي الطرق الصوفية وايجابياتها وسلبياتها ، فهذا المنهج يكشف عن العديد من الخصائص للطرق الصوفية

وملاحظة أدبياتهم ، والمنهج التاريخي حيث يرتكز هذا المنهج على الماضي وبالتالي يمكن توظيفه في إيجاد روابط بين الطرق الصوفية في مصر وابضاً المنهج النقدي .

فروض البحث :

_ الجوانب الايجابية للطرق الصوفية
_ الجوانب السلبية للطرق الصوفية
_ دور الطرق الصوفية في تعزيز قيمة الأمن العالمي والسلام الاجتماعي

المبحث الأول الجوانب الإيجابية للطرق الصوفية

برزت الطرق الصوفية كأحد الهيئات الفاعلة في المجال الاجتماعي والتي تشكلت عبر المسار التاريخي بما تقتضية ظروف المجتمع، ومن ضمن الأبعاد الاجتماعية للتصوف جانب الخدمة الاجتماعية والعمل الخيري الاجتماعي فهو بالنسبة للصوفي وسيلة للترقي في مدارج المقامات بقصد تربية السالكين على النفع والعطاء تجاه المسلمين ، ومن الأنماط الإيجابية للطرق الصوفية :

(١) نمط تكافلي :

حيث أن ارتباط أغلب الطرق الصوفية في المنطقة العربية بالطوائف الحرفية المختلفة مثل العمال والفلاحين والأرزقية وغيرهم الذين يمثلون أغلب عناصر مريديها ومُحبيها سواء في المدن أو القرى، بالإضافة إلي تجنيدها للعديد من الراغبين في التوبة ، ألزمها بالقيام بدور اجتماعي تكافلي تُظهر أهم ملامح تطبيقه خلال شهر رمضان عبر الزوايا ومكاتب الطرق والتكايا ، فالتكايا تُعد من صور التكافل الاجتماعي في المجتمع المصري ، فمن أشهر التكايا الموجودة بالقاهرة تكية السلطان محمود وتكية الرفاعية وتكية الملك فاروق وتكية السليمانية وتكية المولوية ، وعلى الرغم من أنه قد أصبحت معظم هذه التكايا ضمن المتاحف والآثار المعمارية ، والبعض تحولت ضمن المنشآت الحكومية التابعة لوزارة التضامن الاجتماعي مثل تكية الملك فاروق و شقيقته الأميرة فوزية ([1])، ويرجع تاريخ ظهور التكايا الي العصر العثماني ، حيث ظهرت في الأناضول خاصة ثم انتشرت في الولايات التابعة للدولة العثمانية عامة ، ويري علماء الآثار والعمارة الإسلامية أن التكايا تطوراً للخانقاه التي كانت في العصر الأيوبي التي استمرت وازدهرت في العصر المملوكي لتقوم التكايا بنفس الوظيفة التي كانت تقوم بها الخانقاوات .

[1] إنجى عبد الوهاب : مقال عن التكايا في مصر مأوي للمتصوفة وسبيل للمساكين ، ٢٠١٩ م ، بوابة الشروق
٢ أماني الجندي : الأدب الشعبي ، وكالة الصحافة العربية ، ٢٠٢٠ م ، ص ٨٣
٣ عبد الكريم بليل : بحث عن الدور الاجتماعي والنفسي لبواكير التصوف في المغرب الأوسط ، ص ١١٣ ، ١١٤
٤ نفس المرجع السابق ص ١١٤

ومن العادات المعروفة التي اشتهرت بها هذه التكايا ، صرف "الجراية" عليهم بعدد خبز محدد لليوم الواحد والطعام الموحد ، وبذل المال ، فهي من عمارة الخير التي ارتبطت بإطعام وسقاية الناس والدوآب وعابري السبيل ، الي جانب إيواء الغرباء واليتامى وكسوتهم وتطبيب المرضي وعلاجهم إلي جانب رعاية المتصوفة والزهاد ، وقد حظيت وقتها بدعم السلاطين والأغنياء والتجار كمظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي ([٢]) ، وقد تمثلت أهم النجاحات التي قدمتها الطرق الصوفية عبر مؤسسات الوعظ والتعليم والتربية في كونها :

(ا) شبكة تكافل اجتماعي لرعاية الأيتام ، المساكين وعابري السبيل ، فكانت كفيل كل قاصد لها ، ونظراً لإهتمام الطرق الصوفية بالمناطق النائية البعيدة عن سلطان الحكام وعطاءاتهم ، فتوجب عليها مهام الرعاية الاجتماعية للمحتاجين ومن لا معين لهم .([٣])

(ب) شبكة اتصال وتواصل اجتماعية في الوطن ، لانتشار الطلبة والدعاة من مناطق مختلفة في أرجاء البلاد ، فكان للصوفية مناطق نفوذ لا تصل إليها أيادي الحكام .([٤])

(ج) الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية بتنشئة الأجيال الصاعدة على مبادئ إسلامية ونشر علوم اللغة العربية والقرآن والسنة .

ومما لا خلاف فيه أن التعلم ميدان ضروري لتطوير الحركة الفكرية والعلمية وهو أحد الميادين التي يتجلى فيها النشاط الإيجابي الصوفي وبرزت فيه الطرق والزوايا كمعاهد عليا لتخريج الطلبة المتخصصين في علوم شتي لما حوته الزوايا من مشايخ ومكاتب ومكتبات وكتاتيب .

والجوامع أيضاً تُعد مؤسسة للصوفية ونشاطهم في الجوامع على نوعين:

(ا) حضور الصوفية في مواعيد معينة في الجامع ، في الصباح أو بعد العصر وتُفرق عليهم أجزاء من القرآن فيقرأ الشيخ وتقرأ الصوفية ويختمون القرآن .

(ب) التعليم أو ترتيب الدروس في الجوامع .

وفي مصر يوجد العديد من المساجد التي يقصدها الصوفية ، مثال مسجد عبد الرحيم القنائي، وابو جرير اشهر مساجد سيناء ، ومسجد العارف بالله أعرق مساجد سوهاج ، ومسجد ابو الحجاج بالأقصر

(٢) نمط تنموي :

دور الطرق الصوفية في قطاع التعليم بين أفراد المجتمع دور قديم حيث انتقلت الطرق الصوفية من الكتاتيب إلي نشر المدارس الصوفية ، وأصبحت الصوفية لها مدارسها الخاصة التي تأخذ مرجعيتها من العصر النبوي الذي يُعد المرجع الأساسي الشرعي في مجمل التاريخ الإسلامي ، وكل طريقة صوفية ترتبط أورادها بسند

رجال أساسها يرجع إلي رسول الله أو احد الصحابة ، ومن أشهر المدارس الصوفية في مصر([٢]) :

(١)المدرسة الرفاعية :

رائدها ومؤسسها الإمام أحمد الرفاعي ، وقسم الإمام الرفاعي تلاميذ مدرسته إلى المريدين : وهم سالكي الطريق حسب إرشادات شيوخهم ،حتي يصلوا الي غايتهم فيسيروا على نهج شيوخهم ، والشيوخ : هم اللذين يحددون للمريدين طرق الوصول الي الله ويساعدهم على السير، والخلفاء : هم مجموعة يترأسهم خليفة ، ومنهج الإمام الرفاعي يتمثل في الكتاب والسنة ، ترك الدنيا وشهوات النفس ، الصبر على البلاء ، الوفاء والإخلاص ، موافقه السلف على ما هو عليه .

(٢)المدرسة البدوية :

مؤسسها السيد أحمد البدوي في مدينة طنطا ويدور منهج هذه المدرسة حول : معرفة الله معرفة حقيقية ، التمسك بسنة رسول الله وكتاب الله ، ترك ما في ايدي الناس وتحمل آذاهم ، ان يكون عالم بأن الشيطان عدوه ،الإحسان وصله الرحم .

(٣)المدرسة القنائية:

مؤسسها الإمام عبد الرحيم القنائى بمحافظة قنا ، ونظرية هذه المدرسة في تعليم ابنائها تتلخص في أن : الدين عمل وأخلاق فمن ترك واحده منها ضل الطريق والعمل ، حيث تدعو المدرسة أن يكون للمريد عمل يكسب منه قوته ، وقد اهتمت المدرسة بدراسة علم الأخلاق ودراسة الفرق بين ماهية الروح والنفس

(٤)المدرسة الشاذلية :

مؤسسها الإمام أبو الحسن الشاذلي ، ويدور منهج هذه المدرسة حول : التوبة ؛ حيث يبدأ بها السالك الي الله والطريق الي الله أن يتبع الكتاب والسنة وأن النفس مركز الشهوات ، والزهد والجهاد والذكر، وتُعد هذه المدرسة من أكبر المدارس الصوفية في مصر، وقد لعبت دوراً هاماً في حياة المصريين الروحية ، وعنها نقلت كل المدارس الصوفية الأخرى كل المبادئ والقيم والمناهج الصوفية ، فهذه المدارس كانت نظرياتها حول التوحيد بمعناه الكلامي والصوفي وما يتصل بذلك من مسائل المعرفة بالله والمحبة الإلهية والفناء في الله والبقاء به ، والنفس وآفاتها والأحوال والمقامات الصوفية ، كالوجد والشوق والقرب والغيبة والحضور والإيثار والذكر والتوبة ورؤية الله في الدنيا والآخرة ، وأيضاً الزوايا لها مكانة كبيرة بين أفراد المجتمع ، حيث ان المناهج التعليمية في الزوايا ذات وجهة علمية تربوية ، ثم وجهة وظيفية لمن تفوق وتوسع أكثر ليلتحق بالمؤسسات الإدارية أو القضائية ، فالزوايا كانت اكثر انتشاراً وقُرباً من المحاكم ومراكز القضاء ، وغالب الزوايا تنشأ من

[٢] أبو الفضل الاسناوي : الطرق الصوفية في مصر وموقف الشارع المصري منها ، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية ، ٢٠٠٨ م ، ص ٨ وما بعدها

مشايخ نهلوا من العلم قدراً وبلغوا من التحصيل ما جعلهم في حاجة لبذل ما عندهم من العلم للناس ، وتكوين طلبه ليرثوا علمهم وينشروه بين الناس ، ناهيك عن رغبة المشايخ في مناهجهم وتجاربهم التربوية من خلال تلقين مختلف العلوم النقلية والعقلية

(٤) مكافحة الأمراض المستعصية " جسدية ، نفسية " :

التصوف في تاريخه علم قائم أولاً على النظر في باطن النفس فتعارف عليه الأوائل بعلم القلوب ، علم الباطن ، علم الأخلاق ، وعلم السلوك وكلها تجتمع فيه ثم تنشق عنها بعد تبلورها ، ومن أسس الصوفية إصلاح النفس الباطنة سواء بإصلاح ظاهرها أو سلوكياتها ، بالمجاهدات الجسدية أو الرياضات القلبية ، وسبل إصلاحها تكون للغاية العظمي وهي القرب من الله تعالي والنجاة في الدنيا والآخرة ، وما هو منتشر في مجتمعنا الآن من تفشي للأمراض سواء نفسية أو جسدية ، فالأمراض النفسية كالقلق والخوف من المستقبل ونوبات العصبية والاكتئاب ، والحديث عن الإكتئاب الذي هو مرض العصر الآن أو ما يسمي المرض القاتل ونسبة خطورة هذا المرض مرتفعة لأنه مسؤولاً عن عديد من عمليات الإنتحار ومرض الاكتئاب هو تغيير في النفس وانكسارها من شدة الهم والحزن وهو مرض روحاني ومن أهم أعراضه الشعور بالحزن الدائم ، فقدان المتعة بالنسبة لمعظم الأنشطة التي كان يقوم بها ، إيجاد صعوبة في الربط بين الأفكار عند الكلام مع فقدان النشاط ، وغيرها من اضطرابات النفس التي تؤدي بدورها إلي أمراض جسدية ناتجة عن تلك الأمراض النفسية .

وأيضاً من الآفات الاجتماعية المنتشرة مثل تعاطي المخدرات وما ينتج عنها من أضرار لذهاب العقل وارتكاب جرائم شنيعة مثل ما نري الآن ، فقد كثرت تلك الجرائم بمجتمعنا بطريقة مروعة ومُخيفة وأساسها تلك المخدرات وارتكاب الفواحش علانية والسرقة والغش والربا وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال وما أكثرهم في زماننا ، وضعف الوازع الديني ، وكثرة المجاهرة بالمحرمات وغيرها من الآفات التي تخللت المجتمع كان لها صدى أخلاقي

وتأثير اجتماعي عميق أثر على السلوك العام وأدي إلي اضطراب السلوكيات الاجتماعية وإحداث الفراغ الروحي الذي يولد مرض الاكتئاب المزمن فيتفكك المجتمع لتفكك البنية الأساسية لتكوينه .

وهذا الوضع دفع إلي بروز التصوف كنزعة وطريقة دينية بعد أن زاد الانحلال فقد جاء كرد فعل على الآفات الاجتماعية ومناهج الصوفية في التذكير والوعظ والمجاهدة ، والتأمل والنظر في النفس ومحاسبتها ومراقبتها وغير ذلك من الأساليب التي تكشف مكنوناتها ودوافعها ،هذه هي الخطوة الأولي في طريق المجاهدة وأصل المجاهدة كما يقول الإمام القشيري" فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها " ففيه تدريب ورياضة للنفس والانتقال بها من النفس الأمارة بالسوء التي تأمر

صاحبها بكل سوء إلي النفس اللوامة التي تلوم صاحبها على سوء ما تفعل وهي نفس أثني الله عليها ، ويجب على المؤمن ان يكون لواماً يسأل ويُحاسب نفسه فينتقل بذلك الي النفس المطمئنة التي تكن إلي ربها وطاعته وأمره وذكره واطمأنت إلي وعده ووعيده ووحدانية واطمأنت إلي انه لا أله إلا هو قال تعالي " يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي " .([3])

ومن أساليب المجاهدة الصمت عن الكلام ، لا بمعني حبس اللسان عن الكلام مطلقاً كما في الرهبنة المسيحية ، بل بمعني التحفظ في القول ، وعدم الاسترسال في اللغو وإحلال التفكير والتأمل محل الكلام ([2]) ،فهذا الذي كلما تكلم كلمة فحصها وحاسب نفسه عليها قال رسول الله (صلي) " وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم " ([3])

ومن أساليب مجاهدة النفس " الزهد " وهو موقف خاص من الدنيا وأعراضها فالزاهد يُخالف هوي النفس ورغباتها ويُحقر من شأن القيم التي اعتاد الناس رفعها وتقديرها كالسمعة والصيت والجاه والغني ويزهد في الحرام استجابة لنهي الدين عنه، وفي الحلال استشعاراً لألم الحرمان الذي هومن وسائل تطهير النفس وتقويتها([4])، إذن فمناهج الصوفية قد يسرت للعامة والخاصة الدخول في الهدوء النفسي الذي فُقِد بعد التصارع والتسابق على أحوال الدنيا وجعل من الحاضرين لمواعظ ودروس مشايخ الطرق يستشعرون حالة من الهدوء والطمأنينة واللذة الروحية التي كانوا فقدوها أو لم يعرفوها ويستشعروا راحتها .

(٥) تسوية الصراعات والمنازعات :

الصوفية قوم اختصهم الله بالقبول والمحبة لهم دور بارز في فض النزاعات بين الأفراد والجماعات بالمجتمع ، والدور الوقائي من الأدوار الرئيسية التي تقوم بها الطرق بإشغال الوقت بأفعال الخير والعمل التطوعي وللطرق الصوفية دور في النصح وفض النزاعات الدموية والتوسط وإصلاح ذات البين والقول بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقدرتهم على امتصاص الأثار السلبية للمنازعات بما يضمن دوام الاستقرار و الآمان للمواطنين .

ومن أكثر النزاعات التي يتدخل فيها شيوخ الطرق الصوفية هي قضايا المواريث والأحوال الشخصية ، حيث يحلون النزاعات التي تقع بين الأقارب والأزواج وشعور

---

[3] سورة الفجر آية ٢٧

2أبو العلا عفيفي : التصوف " الثورة الروحية في الإسلام " ، مؤسسة هنداوي للنشر ، ٢٠٢٠ م ، ص ١٢٦

٣ أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ، رقم ٦٤٧٨

٤ أبو العلا عفيفي : مرجع سابق ص ١٢٦

٥ أحمد إدريس الإدريسي : التصوف وأثره في المجتمع ، موضوع تم طرحه في ندوة الطرق الصوفية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ١٩٨٥ م

الناس بأن شيوخ الطرق الصوفية هم حُماة العقيدة والعُرف والصواب يعين ذلك كثيراً في الرضا والقناعة ويرضون بما يحكمون به وتطيب به نفوسهم فالتصوف من غاياته نشر الخلق القويم بين طبقات المجتمع ، والخلق القويم هو الدعامة الأولي التي يبنى عليها المجتمع أمنه واستقراره .([٥])

(٦) الدور الديني :

والحقيقة التي لا يمكن اغفالها دور التصوف في تشييد الدولة الإسلامية بإعتبار انه يستقي منابعه من الدين الحنيف وهو الذي ظل حافظاً لرسالة الإسلام ، يُجاهد في سبيلها ويعمل من أجلها وهو الذي أدرك إدراك حقيقي لمعني الدين ، فاحترم مقدساته ونفذ تعاليمه وتولي عبئ الدفاع عنه ([٤]) ، فقد دأبت الجماعة الصوفية على نشر الدين الإسلامي حيث نشرت الزوايا والمساجد والكتاتيب وانشأت المدارس الصوفية ويظهر الدور الديني لرجال التصوف أيضاً من خلال التأكيد والحرص على الفرائض الدينية والقيام بها وعدم التساهل في تطبيقها فهو يمثل أهم الأدوار التي قام بها الأولياء داخل مجتمعاتهم .

(٧) الدور الإرشادي والأخلاقي :

تمثل دورهم الإرشادي والأخلاقي في المجتمع خاصة لما شهدوا من انعدام القيم والمبادئ وانتشار الفساد وتردٍ في السلوكيات الأخلاقية ، فبرزت فئة المتصوفة وأثرت من خلال سيرتهم تقوي الله في شتى أمور حياتهم فتعلق بهم العامة نتيجة زهدهم في الحياة وجلب التقدير والمحبة لهم . ([٢])

وعلى سبيل المثال الطريقة العقادية الشاذلية دورهم الديني تعدي حدود الجماعة الصوفية واتخذ شكل خطب عامة ودروس دينية للوعظ والإرشاد خاصة خلال شهر رمضان وخلال الاحتفالات والموالد ، بالإضافة إلي بيوت المشايخ اللذين يستقبلون من يطلبون العون في الشئون الدينية والدنيوية التي تعترضهم ويعجزون عن حلها فيلتمسون المشورة والتبرك بالشيوخ .

ومن أدوارهم الاجتماعية أيضاً إتاحة فرص العمل لمن لا عمل له ومعاونة الناس في كافة مجالات الحياة ورفع الظلم عنهم بالإضافة إلي الدور الاسترشادى وحل المشكلات .([٣])

(٨)التآخي والسلام الاجتماعي :

مما لا شك فيه أن التصوف اصبح ضرورياً لتحقيق التوازن في الحياة وطريقاً للإنسجام مع فطرية الوجود ومنهاجاً مُحتماً لتسديد القيم والسلوك وشريعة تنشر

---

[٤] عبد الحفيظ فرغلي على القرني : التصوف والحياة العصرية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٨٤ م ، ص ١٥

٢ إبراهيم القادري بوتشيش : تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٤ م ، ص ١٢٠

٣ منال عبد المنعم السيد جادالله : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥

رسالاتها ، فهي بهذا الاعتبار والتقدير سفينة النجاة في هذه الحياة المادية الفاقدة للروح والغاية ، فهي طاقة روحية ووجدانية تُفيد الإنسان في تحرير نفسه من سلطان الهوي ، وهي السبيل الآمن لتخليص الأمة مما تتخبط فيه من ازمات فكرية وعقدية يكمن في رجوعها إلي التعاليم السمحة لشريعة الإسلام والمحبة والسلام فهي تعتبر جامعة لمكنونات الثقافة الإسلامية ، ومختلف شرائح المجتمع الإسلامي منهم المفسرون والمحدثون وأهل الفقه والفلاسفة والحكماء والمتكلمون وأرباب الأدب والشعر وسائر طبقات الناس ، يستطيع التصوف أن يمدهم بوهج يوقد أنوار الهداية في حياتهم .

فالتصوف يُمثل الحياة الروحية ويُجسد حقيقة التدين الصحيح الذي يحرك الإنسان في دائرة الفعل المسئول فلا حقد ولا عداء ولا حسد ولا بغضاء ولا كراهية ولا إسفاف ولا تطاول على حقوق العباد ، فالتصوف هو الجسر الذي يُعين الإنسان على التعايش السلمي وييسر له أسباب الالتقاء والمقام الأمين .

والتصوف يُعَّلم الإنسان على اختلاف وظيفته في الحياة ، ووظيفته في السلم الاجتماعي كيف يحب غيره فهو قيثارة الحب ، وقانون الود والصفاء ، فبالحب تصفوا الأرواح وتسمو النفوس ، والتصوف يُقدم للإنسان حلولاً عملية تساعده على ترويض نفسه وتهذيب أخلاقه ، وتخليص ذاته من الأنانيات المفرطة ، ويعطي أملاً في تهيئة الأنفاس والحواس الباطنية والظاهرة للإقبال على الله عز وجل والبلوغ إلي غاية استحضار عظمته في ملكه وملكوته ، فمن اقتادته الأقدار وساعدته الألطاف ، لابد أن ينتهي إلي مراده .

والمحبة والتآخي التي هي أساس العلاقات من القيم الكبرى التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية ، فالحب الذي عرفه المجتمع الإسلامي بين أفراده لم يعرفه مجتمع آخر ، فالحب المستمد من مشكاة الوحي وهدي النبوة و آثاره في سلوك الإنسان فريد في تاريخ المعاملات (٥) ، فالمتتبع لمسار المدنية المعاصرة يلحظ ابتعادها عن محور الوجود ، وغفلتها عن المعاني الخالدة ، والجوانب الملكوتية في النفس البشرية ، فالربح واكتناز الثروة والرفاه المادي والشهرة ، صارت غاية الجميع ثم إن الفراغ الروحي ، والعطش النفسي والاضطراب الذي يواجه أدعياء الحضارة لا يمكن القضاء عليه إلا بالإجهاز على مسبباته ، والقضاء على موجوداته ، ولا مسلك يؤدي إلي اقتلاع الهوس من قلوب وعقول وأرواح كثير من الشباب اليوم إلا بإحياء القيم الروحية والأخذ بما يضمن سلامة أرواحهم من عواصف وفتن ومغريات الحياة ويؤمن للمجتمع استقراره وهدوءه وطمأنينيته ، فالتصوف يغطي

---

٥ محمد على الهاشمي : القيم الكبرى التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية ، منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ م ، ص ٥٨

زوايا حساسة ومهمة في حياة الأفراد ، وليسد الخواء الروحي والنفسي الذي يعيشه الإنسان في حياته الفكرية وحضارته المادية .

(٩) إهتمام الصوفية بالأخوة :

وقد اهتم الصوفية بالتآخي والأخوة أبلغ اهتمام ، فلسنا في حاجة إلي تأكيد أهمية الصداقة والأخوة في الحياة الروحية والاجتماعية ، فمشاكل الأفراد والجماعات يرجع أكثرها إلي انفصام المودة بين الناس ، ولو عرف الناس كيف يتعاملون دون بغضاء لانعدمت أصول كثيرة من جرائم الشقاق .

وكلام الصوفية عن الأخوة : أن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلا مقاماً من الآخر رفع الآخر معه إلي مقامه ، وأنه يلحق به كما تلحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض ([٦]) .

والصديق في عُرف الصوفية هو الأمين ، ولا أمين الا من خشي الله ، فهو أولاً رجل يخاف الله ، وثانياً رجل مواسٍ ألوف ، كثير الصفح وافر الحياء ، وأساس العلاقة هو العمل الصالح لا المنافع الدنيوية ، وأصل الحب أن يكون في الله وفي ما معناه فقد روي عن أبي هريرة : إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم من نور ، ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء ، فقالوا يا رسول الله صفهم لنا ، فقال : هم المتحابون في الله عز وجل ، والمتآخيان في الله يظلهم الله في ظل عرشة يوم لا ظل إلا ظله . ([٧])

والحب في الله يوجب التزاور والتصافى والتسامح ولقاء الإخوان له لذة تعدل الصلاة في جماعة والتهجد في الليل وهذا النوع من المودة هو أفضل وأشرف ما يقع بين الناس من العلاقات الوجدانية .

وتعدد أنماط الدور الاجتماعي للطرق الصوفية وإن كان تعددها لا يعني تعميم تلك الأدوار على جميع الطرق الصوفية ، فقد نجد نمطاً تقوم به طريقة ولا تقوم به أخري ، وقد تجد طريقة تقوم بجميع تلك الأدوار في حين تجد أخري يقتصر دورها على وظيفة اجتماعية بعينها ، ويرجع اختلاف مستويات الدور الاجتماعي بين الطرق الصوفية إلي مجموعة من العوامل أهمها : القدرة الاقتصادية للطريقة ، حيث أن اغلب أنماط الدور الاجتماعي تعتمد بالأساس على التكافل ، والقدرة على التغلغل داخل البيئة الاجتماعية والقبلية العصبية ، إضافة الي مستوي الانتشار و الوجود على الأرض ، حيث أن اندماجها في العصبية القبلية يسمح لها بلعب دور الوسيط في الصراعات والأزمات وبناء السلام المجتمعي ، كما أن وجود الشخصية الكاريزمية

[٦] محمد بن على بن عطيه الحارثي أبو طالب المكي : قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، حققه عاصم إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ م ، ص ٧٤٨

٧ تخريج الإحياء للعراقي ١٩٨_٢

بين مشايخ الطرق يساعد على قبول نصيحتهم وآرائهم بين جمهور المجتمعات التي توجد بها هذا بالإضافة إلي تعدد المقرات والزوايا الصوفية التي تدير الطرق الصوفية من خلال عملها الاجتماعي ([٨]) .

وللطرق الصوفية دور ايجابي في تحقيق الضبط الاجتماعي ، فالطرق الصوفية اهتمت بهذا الشأن اهتماماً كبيراً مما جعلها تضع قانوناً خاصاً بها يعمل على ضبط سلوك الأعضاء داخل الجماعة وخارجها ([٢])، هذا مما كان له اثر كبير في تهذيب سلوك الافراد والتحكم في علاقاتهم ، بالإضافة الي دور الشيخ الفعال في الفصل بين الناس في حالات النزاع والخلاف وتقويمهم والوقوف على اخلاقهم ، وامتدت جهود الشيخ لتشمل المجتمع ككل ومن ثم يتضح اثر الطريقة الذي لا يمكن انكاره على الحياة الاجتماعية التي هي بمثابة دعوة لتدعيم المبادئ والقيم الدينية ، ونداءً للتمسك بالآداب والاخلاق الاسلامية خاصة في ظل هذا العصر حيث كثرت الفواحش والمنكرات والجرائم نتيجة ضعف الوازع الديني وتراجع الاخلاق وتفشي المنكرات علانية والمجاهدة بها ووجود من يُروج لها ويدعمها ، ويكاد انعدام الرقابة الاسرية والمجتمعية على الأفراد ادي الي ما نراه الان ، فتجئ الجماعات الصوفية ببصيص نور وعلى أمل لتصلح بعض هذه الآفات ، لذلك لا يقتصر دور الطريقة على حياة العضو الدينية بل تشمل كافة اوجه حياته العملية والاسرية والاجتماعية، ووجود الفرد في جماعة تربطه بهم صلات وروابط شعائرية قوية لها صفة الدوام والاستمرار وتسودهم مشاعر المحبة والايثار ، وتجمعهم مبادئ وقواعد وآداب خاصة بهم ، تقوي لديهم الشعور بالتعاون والمساواة والتماسك والتضامن والتكافل الاجتماعي وغيرها من القيم التي طمست عليها الحياة المادية ، وهذا يتفق مع ما ذكره أبو الوفا التفتازاني عن التصوف بأنه محاولة الإنسان للتسلح بقيم روحية جديدة تعينه على مواجهة الحياة المادية ([٣])،فالعضو يلجأ الي الجماعة لسد كافة حاجاته الدينية والدنيوية ولحل مشاكله المختلفة ، لان الطريقة كانت وستظل المأوي والملجأ لأعضائها .

ومن الأدوار الاجتماعية للتصوف وأثر ضبطه الاجتماعي ، نري ذلك في كثير من الأقاليم التي ينتشر فيها مثلاً الأخذ بالثأر ، فيجئ دور رجل او شيخ صوفي له من المقامة والمهابة والاحترام بين الناس داخل جماعته وخارجها يأتي بكلمة طيبة لها فعل السحر تقضي على دواعي الشر والفتنة فبذلك كان له تأثير إيجابي ودور فعال في فض المنازعات وإقامة السلام وتحقيق الأمن والقضاء على التشاحن وحل

---

[٨] أبو الفضل الإسناوي : مقال عن الدور الاجتماعي للطرق الصوفية في المنطقة العربية ، ٢٠١٨ م

٢ فاروق أحمد مصطفي : البناء الاجتماعي للطريقة الشاذلية في مصر ، دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٤٥

٣ أبو الوفا التفتازاني : أدعياء التصوف كثيرون " مجلة التصوف الإسلامي " ، العدد ٩٨، ١٩٨٧ ، ص ٤

المشكلات على اختلافها دينية أو دنيوية ، والعديد من الأدوار الاجتماعية التي سنتطرق لذكرها لاحقاً تُبين الأثر الفعال للتصوف والطرق الصوفية على المجتمع في دفع عجلة الحياة إلي الحركة والتقدم ومكافحة الجرائم ومقاومة الانحراف وإيقاظ الضمير وتحقيق الضبط الاجتماعي وتدعيم القيم وترسيخها .
اذن فقد اهتم التصوف بالتربية الروحية والتربية الأخلاقية فلا حياة روحية دون حياة اخلاقية فالانحلال الأخلاقي يرجع أساساً إلي نقص التربية الروحية ، وأول اهتمامات التصوف بناء الخُلق الاجتماعي حيث انه يطبع الفرد بالسلوك القويم وهذا من واجبات التصوف الأساسية ، فقد أدي ذلك الي قيام الطرق من اجل تنشئة المريدين وتربيتهم روحياً ودينياً واجتماعياً عن طريق تهذيب سلوكهم وتنقية نفوسهم بإكسابهم انماط سلوكية وقيماً دينية تتفق مع الآداب والاخلاق الاسلامية ، وهذه القيم والاخلاق هي الرباط بين الناس ، والواقع ان حاجه الانسان اليوم للحياة الروحية "التصوف " تفوق في اهميتها الحاجه الجسمانية لأن الروح إذا حُرمت من احتياجاتها تمرض مثلما يمرض الجسد ، والأمراض الروحية تسري في النفس ولا يشعر بها الانسان الا بعد فترة طويلة أو قد لا يتعرف عليها ، فمن أهمل الحياة الروحية أو اعرض عنها يعيش حياة شقية فهي وقاية من أمراض قسمها البعض الي قسمين :
(١) الأمراض النفسية المتمثلة في الشعور بالضيق والقلق والكآبة والانهيار امام المشكلات التي قد تؤدي الي من يُصاب بها الي الانتحار.
(٢) الأمراض الجسمية التي تنقسم الي نوعين :
(ا) الأمراض التي تصيب الجسد نتيجة تأثير الحالات النفسية المرضية السابقة .
(ب) الأمراض الجسمية نتيجة الرذائل الأخلاقية والجرائم التي يرتكبها البعض الذين تنعدم عندهم القيم والسلوكيات الروحية .
وما ينتج عن ذلك من امراض خطيرة كإدمان المخدرات والمسكرات والإيدز ولا يقتصر ضررها على الفرد فقط وإنما تشمل أسرته ومجتمعه ومن ثم فالحياة الروحية وقاية للأفراد من كل ضرر لارتباطهم بالله واعتمادهم عليه وقربهم منه ، وتكمن أهمية الناحية الروحية في التصوف في انعكاسها على أوجه الحياة المختلفة فإذا تأثرت الروح أثرت بدورها على الجوانب النفسية والجسمية والأخلاقية للفرد ، وتمتد لتشمل كافة جوانب الحياة الاجتماعية محققة التقدم الأخلاقي وهذا بدوره من اساسيات التقدم الاجتماعي

المبحث الثاني : الجوانب السلبية لبعض الطرق الصوفية

من ظواهر الحياة الاجتماعية التي انتشرت في المجتمع المصري ، والتي لعب المتصوفة دوراً اساسياً فيها وهي الاعتقاد في الكرامات ، فكانت من الظواهر التي انتشرت انتشار واسع في المجتمع المصري ، فقد آمن المتصوفة بالكرامات وحضوا المصريين على الايمان بها ، والكرامة : هي الأمر الخارق لما تعود عليه البشر أن

يجدوه مقبولاً عقلاً ومُطابقاً لقوانين ونظم الطبيعة والحياة ، غير ان هذا الامر الخارق لا يقترن بدعوي النبوة ولا سحر ولا دجل وإنما يخص الله اولياءه العارفين بها وهو القادر الفعال لما يريد([٩]) فالكرامة هي إكرام الله تعالي من شاء من عباده بما يحتاج اليه من إجابه دعوته أو شفاء علته او انزال المطر في غير اوانه او احضار الطعام في غير وقته او غير ذلك مما هو معروف من سلف الصحابة والتابعين ، وقد ذكر صفاتهم في العديد من السور قال تعالي " وَلَكِنَّ البِّرَ مَنْ آمَنَ بِالله وَ اليَوم الآخِرِ وَ المَلائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَبيينَ وَ آتَي المَالَ على حُبِّه ذَوِي القُرْبَي وَ اليَتَامَى وَ المَسَاكِين وَابن السَبِيل وَ السَائِلِين وَ فِي الرقَابِ وَاقَامَ الصَّلاةَ وَ آتَي الزَّكَاةَ وَالمُوفُونَ بِعَهدِهِم إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَابِرِينَ فِي البَأسَاءِ وَ الضَّرَاءِ وَحِينَ البَأس أولئِكَ اللذِينَ صَدَقُوا وَ أُولئِكَ هُم المُتَقُون" ([٢])

إلى غير ذلك من صفات الاولياء وأحوال المؤمنين وعباده المتقين اللذين اصطفاهم الله وجعلهم من أهل خصوصيته ومحبته، قال الامام القشيري " واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء، دوام التوفيق للطاعة والعصمة عن المعاصي والمخالفات " ([١٠])، اي يهب الله تعالي الكرامة على ايدي اللذين أخلصوا إيمانهم ولم يخلطوه بشيء من الشرك الاعتقادي ولا العملي، وادوا فرائض الله ، واجتنبوا محارمه ، ووقفوا عند حدوده في ظاهرهم وباطنهم ، وذلك فإن اعظم كرامة يهبها الله لمخلوق هي الهداية والتوفيق للطاعة وإتباع المأمور واجتناب المعاصي والمنهي عنه ، وتنقسم الكرامات إلى:

(أ) كرامات حسية ، مثل المشي على الماء والاخبار بالماضي والمستقبل.

(ب) كرامات معنوية، كمعرفة الله والخشية له والعمل بشريعة الله والقرآن والتمسك بهما .([٢])

والكرامات لها حدود فلا يختلط بينها وبين المعجزات، فالمعجزات خاصة بالأنبياء وحدهم لاقترانها بدعوة النبوة، والكرامة لا تكون إلا للأولياء ، وما كان معجزة لنبي لا يجوز أن يكون كرامة لولي ، وعلى هذا النحو فلا يجوز أن يقع على يد ولي قلب العصا حية ، أو فلق البحر ، أو احياء الموتى ، أو انشقاق القمر ، او نزول القرآن ، أو جميع المعجزات التي اجراها الله على ايدي الانبياء ، وتشترك المعجزة والكرامة

[٩] عامر النجار : الطرق الصوفية في مصر ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٤٨

٢ سورة البقرة آية ١٧٧

[١٠] محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي : بستان العارفين ، حققه وعلق عليه محمد الحجار ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٦ ، بيروت ، ٢٠٠٦ م ، ص ٣٥٢ ، وانظر أيضاً الطرق الصوفية في مصر مرجع سابق ص ٤٩

٢ ابن عطاء الله السكندري : لطائف المنن ، تحقيق عبد الحليم محمود ، دار المعارف القاهرة ، ط ٣ ، ٢٠٠٦ م ، ص ٦٦

٣ سورة مريم آية ٢٥

٤ أحمد محمود صبحي : التصوف إيجابياته وسلبياته ،دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ،ص ٦٤

في أنهما تحيل على كل ما يعجز المتلقي عن استيعابه ، وما يتعذر عليه تفسيره أو فعله ، والكرامة ثُبتت في العديد من السور قال تعالي لمريم " وَ هُزِي إِلَيكِ بِجِذعِ النَّخْلَة تُسَاقِط عليكِ رُطَبَاً جَنِياً " . ([3]) وحديث النبي عليه السلام " إن في امتي مُكلمون ومُحدثون " وغيرها من الآيات التي تثبت الكرامة ، ولكن ننكر ما نراه الآن من تفشي البدع والخرافات والدجل لأُناس قد عموا عن الحق ، ولا معرفة لديهم بالكتاب ولا بالسنة النبوية ، وظاهر من أحوالهم ارتكاب البدع ، واتباع الشهوات ، والانهماك في الملذات والاجتهاد في جمع الأموال بالاستيلاء على قلوب العوام بأنواع الاحتيال وتلبيس الحق بالباطل وإيهام نيل المقامات العالية بإظهار أنواع من السحر والشعوذة ، وجمع أمثاله من العوام على حلقات اللهو واللعب والرقص على المزامير مما يزعمون انه حلقات ذكر وليس منها في شئ وإنما هو كفر، فلا ينبغي اتباعهم ولا السماع لهم ، و كبار الصوفية كانت لهم في الكرامة شروط ([4]): (١) أنه يجب على الولي سترها وإخفاؤها ، لأنها جانب من السر الذي يجب عدم البوح به

(٢) أنه لا يصلح للولي أن يدعيها أو أن يسكن إليها ،لأن ذلك يخرجه من إرادة الله إلي إرادته ، ويخرج الكرامة عن أن تكون فعلاً خالصاً لله تعالي .

(٣) لا يقدح عدم وجود الكرامة في كون الولي ولياً ، بل قد يكون من لم تظهر له كرامات أفضل ، لأن الأفضلية هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامات .

هذا ولم يرع المتصوفة المتأخرون وأدعياء التصوف هذه الشروط ، ولم يفهم المريدون حقيقة الكرامة الأمر الذي أدي إلي أن تصبح الكرامات مدخلاً للغيبيات والخرافات .

ومن ظواهر الحياة الاجتماعية أيضاً التي انتشرت في المجتمع المصري ظاهرة الموالد ، حيث حفلت مصر بعدد كبير من الموالد الصوفية أو ذات الصفة الصوفية التي تُقام تكريماً لأهل البيت أو لأقطاب المتصوفة في مصر أو لزعماء الطرق وغيرهم ([11]) ، ومن أهم الموالد في مصر :

المولد النبوى ، ومولد الحسين ، ومولد السيدة عائشة ، ومولد الإمام الشافعي ، ومولد أحمد البدوي في طنطا ، وابراهيم الدسوقي في دسوق ، واحمد الرفاعي في

---

[11] محمد صبري الدالي : التصوف وأيامه دور المتصوفة في تاريخ مصر الحديث ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١٢ م ، ص ٣٢١

٢ نفس المرجع السابق ص ٣٢٤ ، ٣٢٥

٣ عامر النجار : الطرق الصوفية في مصر ، مرجع سابق ، ص ٤٧

٤ محمد صبري الدالي : مرجع سابق ، ص ٣٢٨

٥على بن محمد الجرجاني : التعريفات ، مرجع سابق، ص ٢٦٠

٦سورة الإنسان آية ٧

القاهرة ،وهؤلاء اللذين يعودون في نسبهم إلي أهل البيت ، وغيرها من الموالد الخاصة بشيوخ التصوف .

وقد قام المتصوفة بتشجيع المصريين على حضور الموالد واشتركت فيه العديد من عناصر ومختلف فئات الشعب ، حيث أن زيارة الأولياء وحضور موالدهم من الأماني والمطالب التي يتعلق بها المصريين ، وقد تعددت أهداف المترددين على الموالد بتعدد أحوالهم الاجتماعية ، فكانت تُعد فرصة لأتباع الطرق الصوفية للالتقاء بشيوخهم وخلفائهم ، ومنهم من يقومون بالاشتراك في الموالد لجمع الضرائب أو القيام بدور تنظيمي او للتبرك ، بالإضافة الي وجود العديد من الجوانب الترويجية للموالد يقصدون الأنشطة الربحية التي تساهم في جذب الرواد وتحقيق الرواج الاقتصادي ، ومنهم من يذهب التماساً للعلاج في اعتقاده ، حيث كان وما زال اعتقاد شائع ويُعد من ابرز أهداف الناس سابقاً والآن (٢)، وهذا قد نجم عنه بعض البدع ، فتتم بعض الممارسات في علاج الأمراض او الوقاية منه ، فيستخدمون تراب الضريح او مياه العين الموجودة في الضريح وغيرها من الأمور ، والبعض يذهبون بأماني طول العمر أو ابطال مفعول السحر والحسد المؤذي ، وقص شعورهم بجوار الأضرحة تيمُناً وبركة ، والعديد من الأمور التي تُعد من البدع ، فهذه الموالد ان كانت تُقام لإحياء ذكري رجال الإسلام فالأفضل أن تكون مناسبات تدعيم وعودة للقيم الإسلامية والروحية لا أن تكون بهذه الصورة كما نراه الآن ، وواجب على مشايخ الطرق الصوفية الآن أن يعملوا على تطهير تلك الموالد مما يشوبها ، الذين شوهوا صورة الطريق مما اعطي تصوراً خاطئاً على أن التصوف يتمثل فقط في موالد وعمامات حمراء أو خضراء أو سوداء ورقص وطبول وغناء، فيجب على المسؤولين من مشايخ الطرق أو المسؤولين من وزارة الأوقاف والأزهر الشريف ترشيد هذه الموالد وتنظيمها وتطهيرها من البدع (٣) ، وبحضور العديد من الناس في تلك الموالد من مختلف الفئات استغلال ذلك بعمل حلقات توعية وتوضيح البدع والشرك من هذه الأمور وتكون الاحتفالات بحق إحياء لذكري رجال الدين وتدعيم للقيم الروحية الاسلامية.

وأيضاً من الظواهر الاجتماعية التي ارتبطت بالموالد ظاهرة النذور، حيث يقطع الشخص على نفسة أداء شيء سواء من مال أو سلعه أو خلافه إلي ضريح معين فيذهب الشخص متوسلاً بصاحب الضريح حيث يُناجي صاحبه بأمره ويقطع على نفسه نذراً إذا قُضِيت حاجته (٤) فالنذر ايجاب عن الفعل المباح على نفسه تعظيماً لله تعالي (٥)، وقد أصبح هذا جزء من المعتقدات لدي المصريين بشكل عام ، وقد نهي رسول الله عن النذر فقال " لا تنذروا فإن النذر لا يرد من قدر الله شيئاً وإنما يستخرج به من البخيل " فلا ينبغي النذر، لكن من نذر طاعة وجب عليه الوفاء لقوله (صلي)" من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه " والله

سبحانه وتعالي قد مدح الموفي بالنذر فقال تعالي " يُوفُون بالنَذْرِ وَ يَخَافُونَ يَوْمَاً كَانَ شَرُّهُ مُستَطِيراً " ([٦])

فبعض المتصوفة كانت لهم مشاركات في أمور اجتماعية كثيرة كانت نتائجها سلبية على المجتمع المصري فالبعض يقومون بأداء بدع مازالت سائدة حتي الآن ، مثل الدعاء إلي ولي من الأولياء بدلاً من الدعاء إلي الله فسؤال الأموات والإستغاثة والإستعانة بهم والنذور للأموات شرك بالله وهذا عمل الجاهلية ، وهجر الذكر المشروع والإشتغال بالأوراد والأذكار الصوفية التي يضعها مشايخ الطرق ، أيضاً إدخال طقوس على الأذكار كالرقص والطبل بالدفوف على ذكر الله جل وعلا أو مع ذكر الرسول (صلي) ،والذكر الجماعي بأصوات ملحنة جماعية عقب الصلوات أو بعد الأذان وليس على هذا العمل دليل من كتاب الله ولا سنة رسوله ، كل هذا يؤدي إلي تفريق كلمة المسلمين وتشتيت صفوفهم ، فالطرق الصوفية كثيرة جداً وكل طريقة تدعي أنها على حق فينقسم الجميع إلي شيع وأحزاب ، هذا وقد ساهم الكثير من المتصوفة في إيجاد العادات والتقاليد والمظاهر الاجتماعية السيئة التي مازال المجتمع المصري يعيش الكثير منها حتى الآن ، ولكن هذا لا يعني إنكارنا للجانب الإيجابي للمساهمات الصوفية في الحياة الاجتماعية للمجتمع المصري ، فقد كانت التكايا والزوايا بمثابة مؤسسات اجتماعية تُقدم العديد من الخدمات اجتماعيه او صحية أو نفسية أو انسانية ، حيث وفرت العديد من الاحتياجات للعديد من الناس على مر العصور حين اشتداد الأزمات والاحتلال ، فما كانت تقدمه لأفراد المجتمع من مسكن ومأكل وملبس وكفالة اليتيم ، فقد كانت ملجأ لمن لا ملجأ له .

دور الطرق الصوفية في تعزيز قيمة الأمن العالمي والسلام الاجتماعي :

الطرق الصوفية أحد اهم اركان قواعد بناء المجتمعات الآمنة في نفوسها وفي أهلها وللتصوف والطرق الصوفية دور أكبر في تعزيز قيمة الأمن العالمي والسلام الاجتماعي ، بالكثير من الوسائل التي قد تتاح لها أكثر من الحكومة ، وبوسائل ومجالات مختلفة ، فالطرق الصوفية وحلقاتهم في العالم الإسلامي لعبت دور هام في تعميق اسباب السلم والأمن الاجتماعي ، وشيخ الطريقة هو المرجعية لأهل المنطقة والقرية والحي ويتمتع بكلمة مسموعة في جملة من القضايا والمشكلات كما له أثر كبير في النشاط الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لمجتمع عصره.([١٢])

والسلام النفسي والأمن الروحي هو نقطة الارتكاز التي تعتمد عليها جميع أنواع الأمن الأخرى التي ينشدها الإنسان ، والأمن الروحي لا يأتي إلا بمعرفة الإنسان

---

[١٢] رينولد ألن نيكولسون : في التصوف الإسلامي وتاريخه ، نقله وعلق عليه أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٧ م ، ص ٤٦

٢ محمد الطاف : دور التصوف في الأمن والسلام الاجتماعي ، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب لاهور ، باكستان ، العدد ٢٤ ، ٢٠١٧ م ، ص ٢٦٨

لنفسة ، ومعرفة الاختلالات الذاتية ومحاولة معالجتها ، فالتربية الروحية تتصدي لجوهر الإنسان وترتقي بنفسه الي النفس المطمئنة فيصبح الإنسان متوازناً متكاملاً فاعلاً ونافعاً ، منفتحاً على عصره ، قادراً على ارساء قواعد السلم والأمن والسلام سلم الأخلاق ، سلم في العلاقات ، وسلم في العواطف والقلوب واللسان ، فالتصوف يُساهم في إشاعة قيم المحبة والرحمة وحُسن التعايش والتواصل مع الحضارات والأديان ، فتنعم بوافر الأمن والآمان ، والإنسان المعاصر يحتاج اللي السلام النفسي والأمن الروحي ، والي الثقافة المتصوفة في عصر طغت فيه المادة على الروح ، وهاجمت علينا الفتن ، ولا يوجد أمن حضاري بغير أمن روحي ولا أمن روحي بغير اخلاق ، ولا اخلاق بغير دين ، لأن الدين في أسمي معانيه خُلق ولا دين الا بالتكامل بين الروح والجسد ، وبين العقل والقلب ، وبين الدنيا والآخرة ولا يكون ذلك الا بالتكامل والتوازن ، فالساحة اذا خلت من التصوف مُلئت بالتطرف والبُؤس والإرهاب والتدمير .([٢])

وما اكثر الجرائم التي نسمعها ونراها الآن من اشخاص نُزعت منهم المحبة والعفو والرحمة والتسامح ، فقد اصبحنا في مجتمع مروع ومُخيف لا تكاد تجد مأوي ومأمن منه ، فأصبحنا في أمس الحاجة للتصوف اليوم بشتي صوره ودروبه حيث بلغ الظمأ الروحي أشده ووصل التردي الأخلاقي مداه واحتدام الصراع حول المنافع والمكاسب المادية والنفوذ والجاه والمناصب ، وتحول التدين إلي مجرد طقوس وأفعال مادية بحته تؤدَّى بطريقة آلية لا خشوع فيها ولا ورع ولا مُحاسبة.

المحبة والسلام لدي الصوفيين :

أهم مبدأ يرتكز عليه التصوف هو مبدأ المحبة ، فحب الصوفي كله لله ، فإذا امتلأت الروح الإنسانية بأنوار الحب الإلهي الساري في ثنايا الكون ، فإنها ستشحن بطاقة ايجابية ، متجددة بتجدد الشؤون الإلهية لإتصالها بالحق سبحانه وتعالي ، ومنها تسري تلك الإيجابية لتعم كل ما يحيط بها ، والتجربة الصوفية تجعل من ممارسها إنساناً مُحباً ، أفعاله كلها صادرة عن الحب وشهود الحق تعالي ، وقد ارتبط مفهوم الحب الإلهي في تاريخ الفكر العربي الإسلامي بالصوفية ، فالحب الإلهي هو ما يُحرك الصوفي نحو الله سبحانه وتعالي. قال تعالي " يُحِبُّهُم وَ يُحِبُّونَه " . ([١٣])

وقال الامام الحارث المحاسبي لما سُئل عن المحبة " المحبة ميلك الي الله بكليتك ، ثم إيثارك له على نفسك وزوجك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهراً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه " ([١٤]) ، وللتصوف أثر بالغ في تمتين الروابط الروحية بين جميع

[١٣] سورة المائدة آية ٥٤

[١٤] أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي أبو العباس ، شهاب الدين : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ،ج ٢ ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ص ٦١٥

المكونات الثقافية والاجتماعية والقبلية للكثير من المجتمعات التي كانت تمارسه وتتخذه منهجاً للحياة وكان ذلك تحت لواء المحبة والسلام ، بناء على كون المحبة هي حقيقة الدين وجوهرة ، وهي غاية التربية الروحية والسلوك الصوفي بمختلف طرقه ، وذلك بالسير بالمريد عبر مقامات التربية وأحوال التزكية حتي يصل الي تحقيق مقام المحبة في نفسه ، خُلقاً تعبدياً يتجلى في كل حركاته وعلاقاته ، الاجتماعية والسياسية والثقافية ..وغيرها ، والمحبة لا تلزم في الوجدان حد معين ، بل تفيض مواجيدها فتنعكس في السلوك العام للإنسان وهذا سر القوة والتميّز في التربية الصوفية ، فالتصوف في الأصل قائم على اشاعة الاستقامة والمحبة والإخاء بين البشر ، وامتصاص التطرف والعداء ، وقضية السلام اصبحت من اهم القضايا التي تشغل بال المجتمع الانساني المعاصر بسبب ما آلت اليه الأحداث في العالم اليوم من عنف وارهاب وتطرف للمجتمع ، فأصبحت تسحق كل مقومات التعايش الإنساني ، وصارت الحاجة الي السلام لتحصين المجتمع من كل تلك مظاهر العنف والتطرف والحّد من وتيرة الاشتباكات والصراعات ، تلك الثقافة نجدها في الخطاب الصوفي الذي كان وسيظل يؤكد على التكامل والوحدة الإنسانية ، فثقافة السلام لدي الصوفيين تقوم على المحبة والتعايش وقبول الآخر والسلام ، فالسلام من اسماء الله الحسني ، والسلام مقصد من مقاصد الإسلام في السلوك ، واستراتيجية التعايش والتعامل في الإسلام تنطلق من قوله تعالي " قُل يا أهل الْكِتَاب تَعَالَوا الَي كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَينَنَا وَبَينَكُم إلاّ نَعبُد الاّ الله وَلاَ نُشرِك بِه شَيئاً وَلاَ يَتَخِذ بَعضُنا بَعْضَاً أربَاباً مِن دُونِ الله فَإن تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأنَّا مُسلِمُونَ " (٣) قل أيها الرسول : تعالوا يا أهل الكتاب نجتمع على كلمة عدلٍ نستوي فيها جميعاً ان نفرد الله بالعبادة فلا نعبد معه احداً سواه ،فان اعرضوا فقولوا لهم اشهدوا بأنا مسلمون مستسلمون منقادون لله تعالي.

فهذا أول نداء حضاري للتعايش ولتحقيق ثقافة السلام أمر النبي (ﷺ) المسلمين بإفشاء السلام فقال " سلم على من تعرف وعلى من لا تعرف " (١٥) ، كل هذا متجسد لدي الصوفيين في سلوكهم وخطاباتهم وما يتمتعوا به من الصفاء الروحي ، كفيل بالدعوة الي تحقيق السلام والأمن الاجتماعي والتسامح ونبذ العنف

ومثل هذا التصوف يقوم على أركان محددة تركها لنا كبار الصوفية من أحوال ومقامات وأذواق ومواجيد :

والحارث المحاسبي : هو احد العلماء المشهورين في القرن الثالث الهجري وهو من أئمة الزهاد الكبار، وسمي " المحاسبي " لأنه كان يحاسب نفسه كثيراً ، وقد اثني عليه كثير من اهل العلم ، وله العديد من المؤلفات في التصوف والزهد والرد على الروافض .

٣ سورة آل عمران آية ٦٤

١٥ اخرجه البخاري ، كتاب الإيمان

- ان الله تعالي أقرب إلينا من حبل الوريد ، وبإمكاننا الشعور بذلك وإدراك جلالها وجمالها ، إن جاهدنا الشهوات ، وانتصرنا على نقائصنا .
- الكون واسعٌ فسيح وعلى الإنسان أن يتواضع قدر استطاعته فإنه لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً .
- المحبة والتسامح والتراحم والتكافل والتعاون هذه القيم النبيلة والعميقة التي يسعي التصوف الي ترسيخها دوماً .
- الإنسان في حاجة ماسة إلي الكثير من أركان التصوف كالزهد في الدنيا ليس بالانصراف التام عن ملذاتها وإنما بالتوسط والاعتدال . ([١٦])

ومن أهم المقترحات التي يمكن ان تساهم الخطاب الصوفي في إنقاذ الإنسانية من غرقها في الماديات أكثر: ([٣])

- بذل جهود جادة لإخراج مكنونات الخطاب الصوفي من المخطوطات وضبطها وتصحيحها علمياً وتحقيقها وتطبيقها ومقاربتها مقاربة عصرية .
- نظراً لضيق انتشار الخطاب الصوفي وبقائه ضمن وسط أكاديمي ضيق لا يتجاوز في اغلب الأحيان المنتسبين إليه أو المتخصصين فيه ، مما يجعله حبيساً فإنه يستلزم العمل على توسيع مجال تداوله ، وانعاشه في مقابل الخطابات الانتقائية والهجومية التي عملت على تهميشه وروجت للتقليد الأعمى ، فيتعين على مشايخ الطرق الأكفاء عقد ملتقيات وندوات ودروس وغيرها من المبادرات التي تهتم بتقريب الخطاب الصوفي للأفهام وإزالة الغموض الذي يعتريه .
- إعادة صياغة المصطلحات الصوفية وخاصة الأكثر جدلاً كمصطلح وحدة الوجود ، الذي صنف بسببه اعلام التصوف في خانات الكفر والزندقة ، والعمل على إعادة صياغتها صياغة معاصرة ، يعترف بها العقل ولا ينكرها ، ويتيسر استيعابها .
- يستلزم على المشتغلين بالخطاب الصوفي تطوير استراتيجية الخطاب الصوفي من خلال تبسيط لغته ورموزه ، حتي يتمكن من اختراق الأرواح والعقول على اختلاف مستوياتها ، فلا يبقي حكراً على أهله فقط .

فالمطلوب هو التطبيق الجاد للتصوف ، لأن الأمة اليوم في حاجة لتربية ربانية أخلاقية روحية ترنوا إلي الإحسان ، فالتصوف ضرورة إنسانية ويقظة دائمة تدعوا إلي التوافق بين المادة والروح حتي تتجسد الصوفية بمعناها الحقيقي وتُسهم في إيجاد روح ناهضة بالحيوية تنطلق من المفاهيم الأصلية للإسلام ، فالتصوف الحقيقي

[١٦] عمار على حسن : مقال عن التصوف والحاجة إلي الامتلاء الروحي ، ٢٠٢٠ م

٣ رشا روابح : رسالة دكتوراه بعنوان الخطاب الصوفي ودوره في مكافحة التطرف وصناعة السلام العالمي ، كلية العلوم الإسلامية ، مجلة الإحياء العدد ٢١ ، ٢٠١٨ م ، ص ٣٢٣ وما بعدها

يُصلح بين الناس بدون تميّز ويُوجه الناس إلي الإخلاص لله تعالي في كل اعمالها ، ويعمل على تحقيق العدل ويُجسد الحب في الله تعالي بين الناس ويرسخ التقوي في النفوس للتحلي بالعفاف والحياء فالتصوف له دور محوري في تقريب الإنسان فهو الذي يغرس في المجتمع الإنساني مكارم التوادّ والتراحم والمحبة وحسن التعايش وهذه القيم تأتي بالسكينة والاستقرار والسلم والسلام وهذه أهم مقومات الأمن الاجتماعي والحضاري .

نتائج البحث :

أولاً : التصوف ليس هروباً من واقع الحياة كما يقول خصومه ، وإنما محاولة من الإنسان للتسلح بقيم روحية تُعينه على مواجهة الحياة المادية ، وتحقق له التوازن النفسي حتي يواجه مصاعبها ومشكلاتها ، وبهذا المفهوم يصبح التصوف إيجابياً لا سلبياً مادام يربط بين حياة الإنسان ومجتمعه .

ثانياً: السلوك الصوفي إيجابي فعّال ومظاهر الانحراف والتطرف والخروج عن الشرع والشعوذة والدجل فهذه أمور تُحسب على التصوف ولا تنتمي إليه .

ثالثاً : الاعتقاد بسلبية الأداء الصوفي ودوره في صنع النهضة ناشئ من عدم فهم جوهره والإخفاق في تطبيق مبادئه .

رابعاً : الطرق الصوفية تمثل الاتجاه الأخلاقي العملي في التصوف الإسلامي ، فالطرق في القرن السابع كانت تمثل مدرسة أخلاقية كبيرة يعيش فيها الصوفي حياة صادقة يبتغي فيها وجه الله ومحبته ، وفي هذه المدرسة يسير المريد تحت إشراف شيخة حتي يرقي بنفسه ويحقق كمالها.

خامساً : من أساس الشروط لمعرفة النفس مخالفة الهوي ومجاهدة النفس وإزالة الحقد والحسد والكره والغضب وغيرها من الصفات المذمومة ، وهذا يتحقق بإتباع الصوفية ومدارسة مسالكهم في ترقي النفس ورياضاتها وتزكيتها ، فالتصوف هو الذي اختص بمعالجة الأمراض القلبية ورسم الطريق العملي الذي يوصل المسلم إلي أعلى درجات الكمال الايمانى والخلقي ، فهو منهج عملي كامل يحقق العبادة الخالصة والمعاملة الصحيحة الحسنة والأخلاق الفاضلة .

سادساً : أدبيات الطرق الصوفية متعددة ومتنوعة يصعب حصرها ، وتتراوح ما بين الأذكار والأوراد والأشعار والنثر ، والشعر فإنه يأتي عبر أحاديثهم ولا يعتنون بالأوزان الشعرية أو شخصية الشاعر .

سابعاً : ما تقوم به الدولة المصرية مؤخراً من نهضة عمرانية واستعادة أمجاد الماضي لم يجعلها تغفل أهمية التراث الديني ، والعناية بالمساجد ومقامات آل البيت ، فتلك المقامات الشريفة كانت وستظل نبراساً يستمد منه المصريين دينهم واخلاقهم ونهضتهم الدينية لما تتضمنه من أجساد الذرية الشريفة وآل البيت .

المصادر والمراجع المقترحة :

١ _ محمد صبري الدالي : التصوف وأيامه دور المتصوفة في تاريخ مصر الحديث ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١٢ م

٢ _ أبو الوفا التفتازاني : أدعياء التصوف كثيرون " مجلة التصوف الاسلامي " ، العدد ٩٨ ، ١٩٨٧ م

٣ _ أبو الفضل الاسناوي : الطرق الصوفية في مصر وموقف الشارع المصري منها ، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية ، ٢٠٠٨ م

٤ _ أحمد إدريس الإدريسي : التصوف وأثره في المجتمع ، موضوع تم طرحه في ندوة الطرق الصوفية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ١٩٨٥ م

٥ _ أبو العلا عفيفي : التصوف " الثورة الروحية في الإسلام " ، مؤسسة هنداوي للنشر ، ٢٠٢٠م

٦ _ محمد على الهاشمي : القيم الكبرى التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية ، منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ م

٧ _ محمد بن على بن عطيه الحارثي أبو طالب المكي : قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، حققه عاصم إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٥

٨ _ فاروق أحمد مصطفي : البناء الاجتماعي للطريقة الشاذلية في مصر ، دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م

٩ _ عامر النجار : الطرق الصوفية في مصر ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة

١٠ _ محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي : بستان العارفين ، حققه وعلق عليه محمد الحجار ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٦ ، بيروت ، ٢٠٠٦ م

١١ _ ابن عطاء الله السكندري : لطائف المنن ، تحقيق عبد الحليم محمود ، دار المعارف القاهرة ٢٠٠٦ م

١٢ _ رينولد ألن نيكولسون : في التصوف الإسلامي وتاريخه ، نقله وعلق عليه أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٧ م

١٣ _ محمد الطاف : دور التصوف في الأمن والسلام الاجتماعي ، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب لاهور ، باكستان ، العدد ٢٤ ، ٢٠١٧ م

١٤ _ رشا روابح : رسالة دكتوراه بعنوان الخطاب الصوفي ودوره في مكافحة التطرف وصناعة السلام العالمي ، كلية العلوم الإسلامية ، مجلة الإحياء العدد ٢١ ، ٢٠١٨ م

١٥ _ أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي أبو العباس ، شهاب الدين : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ،ج ٢ ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة

١٦ _ أحمد محمود صبحي : التصوف ايجابياته وسلبياته ،دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤